بسم الله الرحمن الرحيم

في المسألة العلمية

أولا : مقدمة في جامع بيان العلم وفضله

الأستاذ الدكتور الشاهد البوشيخي

الأمين العام لمؤسسة البحوث والدراسات العلمية(مبدع)

1- الله جل جلاله هو العليم ، والله ﷻ هو مصدر العلم، وهو المعلم لكل عالم؛ هو الذي علم الملائكة فعلمت أن لا علم لها إلا ما علمها، وهو الذي علم أبانا آدم الأسماء كلها، وهو الذي علم محمدا عليه الصلاة والسلام ما لم يكن يعلم. هو الذي علم القرآن، وعلم الإنسان البيان، هو الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم. فما من علم يعلمه عالم إلا من بعد إذنه، وما من علم يعلمه عالم إلا منه وبه، فسبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم. أنت علام الغيوب، وأنت عالم الغيب والشهادة، وأنت العليم الخبير.

2- والعلماء بالله جل جلاله هم العلماء؛ يشهدون أنه لا إله إلا هو قائما بالقسط، ويرون الذي أنزل إليهم من ربهم هو الحق، وإذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا. أمثاله معقولة لديهم، وآياته بينات في صدورهم، وما تشابه منها حملوه على المحكم قائلين: ﴿ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ (آل عمران7). إذا نظروا في القرآن تدبروا، وإذا نظروا في التاريخ اعتبروا، وإذا نظروا في الكون تفكروا. أولائك هم الراسخون في العلم، وأولائك أعلم الناس: الذين يبصرون الحق إذا اختلف الناس، وأولائك العلماء ورثة الأنبياء، وأولائك الربانيون بما كانوا يعلمون الكتاب وبما كانوا يدرسون، وأولائك الذين يخشون الله حق الخشية. و﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ﴾ (فاطر 28).

3- **والعلم بالله جل جلاله هو رأس العلم**، من فاته فقد فاته كل شيء، ومن أدركه فقد أدرك كل شيء؛ ذلك بأن صور الأشياء -أسبابا وموانع، وأحجاما ومواقع، وأهدافا ووسائل...-، لا تستقيم إلا من بعد العلم بهذا العلم، وهو في التحصيل سابق لكل علم: ﴿ ٱقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ٱلذِى خَلَقَ خَلَقَ ٱلإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلأَكْرَمُ ٱلذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ ٱلإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ (العلق 1-5)، ﴿ فَاعْلَمَ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلاَّ ٱللَّهُ ﴾ (محمد 19)، وهو في الترتيب منطلق لكل علم، وغاية وهدف من كل علم؛ لأجله وبسببه يرحل من الأكوان إلى المكون –حسب عبارة ابن عطاء الله رحمه الله-، وبعدمه يوقف عند ظاهر من الحياة الدنيا فلا يكون علم: ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ﴾ (النجم 29-30)، ﴿ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ يَعْلَمُونَ ظَـٰهِراً مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلآخِرَةِ هُمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ (الروم 6).

وإذن، فعلم الغيب النازلُ وحيا إطار علوم الشهادة، أي علوم الكون والحياة والإنسان؛ فإذا تحركت هذه داخل الإطار، أثمرت ما خُلق له الإنسان مما ينفع الناس ويمكث في الأرض، من عبادة الله جلا وعلا، وإلا كانت جهلا مركبا:

﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُونِىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴾ (الزمر 64)، وأصحابها كانوا هم الأخسرين أعمالا ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ٱلذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً ﴾ (الكهف 103-104).

وليس بعد علم القرآن –وما استنبط منه ومن الأكوان بميزان القرآن- إلا الأهواء والظنون: ﴿ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلاَ نَصِيرٍ ﴾ (البقرة 120)، ﴿ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لاَ يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ (النجم 28).

4- وبسبب العلم استخلف آدم عليه الصلاة والسلام وتستخلف ذريته في الأرض ،

وبسبب العلم يترشح الإنسان، وإن كان فتيا، ليُتّبع: ﴿ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَالَمْ يَاتِكَ فَاتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطاً سَوِيّاً ﴾ (مريم 43). وهو أول المرشحات للرئاسة والإمامة بعد الاصطفاء الإلاهي: ﴿ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُوتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَالْجِسْمِ ﴾ (البقرة 247). وهو ثاني ما يرفع به الله جل وعلا الدرجات: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَالذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ ﴾ (المجادلة 11). والاستزادة منه مأمور بها شرعا ووضعا: ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْماً ﴾ (طه 114). فبالعلم عُبد الله ويُعبد الله، وبالعلم سُخّر ويُسخّر ملك الله، وبالعلم ساد ويسود عباد الله،... ألا ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلذِينَ يَعْلَمُونَ وَالذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ (الزمر 9).

5- والعلم بحسب العالِم علمان:

علم الله ﷻ، وهو محيط بكل شيء؛ إذ الله ﴿ قَدَ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْماً ﴾ (الطلاق12).

وعلم غير الله ﷻ، وهو ليس بمحيط إلا بما شاء الله به أن يحيط: ﴿ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلاَّ بِمَا شَآءَ ﴾ (البقرة 255).

6- وهو بحسب المعلوم أيضا علمان:

علم الغيب، وهو خاص بالله ﷻ، ليس إلا عنده مفاتيحه: ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَآ إِلاَّ هُوَ ﴾ (الأنعام 59). وإنما يطلع على غيبه من ارتضى من

رسله: ﴿ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ ﴾ (الجن 26-27).

وعلم الشهادة وهو متاح لكل الناس في كل زمان ومكان بحسب الإمكان، يدركه البر والفاجر، والمؤمن والكافر: ﴿ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ (الإسراء 20).

7- وهو بحسب وسيلة العلم أيضا علمان:

علم الوحي؛ وهو من الله ﷻ، أوحاه إلى رسله: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (النجم 3-4).

وعلم الاستنباط؛ وهو من النظر في القرآن، أو من النظر في الأكوان ﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ﴾ (النساء83)، ﴿ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ... ﴾ (الغاشية/ 17-19)